

فن الإقناع القيمي في الخطاب الشعري النسوي القديم (نماذج شعرية مختارة)
 The Art of Value-Based Persuasion In Ancient Feminine Poetic Discourse
 (Selected Poetic Models)

* د/ عماري مالك

D/ammari malek

مخبر الدراسات التحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر.

جامعة ابن خلدون – تيارت (الجزائر)

Ibn Khaldoun University – Tiaret (Algeria)

ammariamalek.50@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/02

تاريخ القبول: 2025/05/13

تاريخ الإرسال: 2025/03/15

مَلَكُ الْعَرَبِ

وقفنا في هذه الورقة البحثية نتجه نحو الحديث عن ملمح من ملامح فن الإقناع القيمي في أدب نساء شواعر، من خلال أشعارهن التي تغتت بقيم ومبادئ، كالفخر، والجمال، والنبيل، والشجاعة، وغيرها، ضمن نسق بنية فنية مشحونة بالعواطف، ممزوجة بوجدان الشاعرات وروحهن، مشيدا بهذه القيم لا لكونها شكلا من الأشكال الجمالية الذاتية أو الاجتماعية فحسب، بل شكلا من أشكال قيم الوجود الإنساني، التي تصوّر المرئي تصويرا بليغا يثير الانفعالات الوجدانية، ويغذي الخيال، ومنه، هل وفقت الشاعرات في تجسيد هذه الحجج بالقيم ضمن نسج البنية الفنية للقصيد؟

الغاية من هذه الورقة البحثية فتح نافذة لتثمين خاصية بنية الإقناع لمقتطفات من الشعر النسوي العربي القديم، باحثا عن مواطن بنية حجج القيم (values) بأنواعها: المجردة والكونية والمحسوسة، التي استند عليها خطابهن الشعري، وتأسس الرأي من خلالها، مستهلا بالحديث عن الإقناع، مفهومه، وعن القيم، مفهومها وأقسامها. ثم انتقلت إلى دراسة تطبيقية أحاول من خلالها تناول مظهرات حجج القيم، وعلاقتها بما يراعي وجدان الشاعرات النفسية، ومواقفهن تجاهها، وصولا إلى إبراز القيم في سياق الغرض الشعري، لما لها من إجماع عربي، وقيمة ملهمة للإنسان بصفة عامة. الكلمات المفتاح: إقناع، قيم، أدب النساء، حجج، جمالية، بنية فنية.

Abstract :

this research paper focuses on an aspect of the art of value-based persuasion in the Literature of women poets. through their poetry that celebrated values such as pride, beauty, nobility, courage, and others, within an artistic structure

charged with emotions and soul of female poets, this values are not only as forms of personal or social or aesthetic expression, but as a from of value of human existence, Which depicts the subject the Elegy subject in a eloquent manner that evokes emotional responses and nourishes the imagination. Hence, did the poets succeed in embodying these arguments through values within the artistic fabric of the poem?

Accordingly, the aim of this brief research paper is to open a window to Value the persuasive structure of excerpts from ancient Arabic feminist poetry, Searching the aspects of the structure of value- arguments in their various forms: Abstract, universal and tangible, On which their poetic discourse relied and through which opinions were formed, Kicking off the talk with persuasion—its concept, And values—their definition and classifications. Then, I moved to an applied study through which I attempt to examine the manifestations of value-based arguments and their relation to what aligns with the emotions, psychological needs, and stances of the poets toward them

Keywords: Persuasion, Values, Women's literature, Arguments, Aesthetic, Artistic structure.



مقدمة:

شهدت فترة الأدب العربي القديم حركة شعرية كبيرة، وواسعة شملت شعراء من الجنسين، شعراء فحول يشهد لهم بعبقرية شعرية، ونساء شواعر اعترفت بإجادتهن قول الشعر، وعلى الرغم ما وصلنا من قليل شعرهن، إلا أنه لا يمكن أن ننكر أنه قد كان للمرأة العربية حظًا من هذه الحركة الشعرية، من خلال اعتكافهن على نظم القصائد بفصاحة لسان وبلاغة منطق وبيان حجة، في أغراض متنوعة، تحمل قبا مختلفة؛ قيم افتخار وجمال وشجاعة ونبيل وكرم، وغيرها، ساهمت بقسط كبير في إثراء الشعر العربي القديم، عن طريق ما حملته هذه الأشعار من أساليب فنية إمتاعية تأثيرية، وحجاجية إقناعية، اعتلت خطاها، وشكلت بنية نسقه النصي، الذي جاء لتأكيد دور أدب النساء الشواعر في الالتزام بالقيم التي تعارف عليها العرب، وليس أدل على ذلك أن استطاعت في تلك الفترة أن تثبت مكانتها الشعرية، وتظهر رأيها بحرية وجراءة دون تردد، لدرجة أن أصغت لها أسباع نوابغ فحول الشعر معتدة بشعريتها.

إن الشعر النسوي في الأدب العربي القديم تخطى معناه الشعري واللغوي المجرد إلى كونه رمزاً لقيم جالية ووجودية، قابعة في وجدان المجتمع العربي، والضمير الجمعي الإنساني، فالقيم التي سعت النساء الشواعر إبرازها هي أحد عناصر الفن التي تظهر من خلال نسيج اللغة الجمالية التي سار عليها نظام القصيدة، سواء كانت هذه القيمة ظاهرة أو متخفية تحت مظلة البنية اللغوية الظاهرة، فهي تقوم على مبدأ التحول إلى بنية فنية مهيمنة على النظام اللغوي، ناقلة ثقل

المعنى الجمالي للقصيدة الشعرية إلى خلق تأثيرات مختلفة يمكنها تغيير الحالة المزاجية أو عمق التلقي لتلك القيم، فلم تقتصر النساء الشواعر في تقرير رأيهن وإثبات موقفهن، باعتماد حجج قيم متمثلة في الشجاعة والجمال والنبيل والحكمة وغيرها من القيم، واتخاذها مستندا للكلام، بل حاولن أن يعقدن نموذجا من الصور البيانية المعبرة، في قالب من الخيال الفني الجمالي لإظهار هذه القيم في حدود اللامألوف، وحشدن معها مجموعة من الألفاظ تحرك الانفعالات والأحاسيس، وتستميل القلوب والعقول.

وبما أنّ لا خطاب بدون حجاج، مهما كان نوع الخطاب وغرضه، فإننا حاولنا أن نسلط الضوء على الحجاج بالقيم؛ قيم كونية (universal values)، قيم التزام مجردة (abstract commitment values)، قيم فعل محسوسة (tangil action values) في الأدب النُسوي القديم، والذي يعدّ شعرهنّ ضمن الأدب العربي القديم، الذي يهدف - في الغالب - إلى إثارة معرفة أو فكر أو عاطفة، أو جميعا، لتبرير تفاعل الشاعرات مع واقع مجتمعهنّ، وإثبات موقفهنّ منه، عن طريق تقنيات حجاجية حصرناها فيما ذكرنا مسبقا، مؤكّدين على عنصر الإقناع كبداً في تلقي الخطاب.

هذا الطرح يسوقنا بالضرورة إلى حتمية الوقوف عند إشكالات مفادها: ما الذي يجعل الفن قيمياً؟ ولماذا أقدمت الشاعرات على التغيّي بالقيم في قصائدهنّ؟ وهل يمكننا القول أنّ هناك نسق لبنية حجج بالقيم؟ وهل وفقت الشاعرات في تجسيد هذه الحجج بالقيم ضمن نسج البنية الفنيّة للقصيدة؟

وتولّد عن هذه الإشكالية تساؤلات: ما مفهوم الإقناع؟ ماذا نعني بحجج القيم، وما هي أقسامه؟ ومن منطلق هذا ارتأيت أن يكون منهج البحث جمعا ومزاوجة بين المنهج الوصفي للملاءمة موضوع البحث، مع توظيف المنهج الحجاجي التداولي في بعض مفاصله حينما اقتضت الضرورة لبعض الإجراءات التطبيقية.

أمّا بالنسبة للأهداف التي يسعى هذا العمل البحثي إلى بيان جوانبه تتمثل في: تبيين الخاصية الحجاجية لبلاغة شعرية المرأة العربية القديمة من خلال حجج القيم، لكن ليس على حساب الوظيفة الجمالية الإمتاعية كما تقرر نظرية الحجاج الغربية، بل من خلال المزج بين وظيفة الإقناع التي ميزت بنية الأسلوب الشعري، ووظيفة الإمتاع، كما ذكر عمر أوكان¹.

وأنا بدوري سأحاول بدافع معرفي إمادة الثّام عن جانب من جوانب هذا البحث، مختزلا إياه في ملمح بنية حجج القيم، للخروج بنتائج - متواضعة - تنيد البحث العلمي في هذا المجال، مستندا إلى نموذج تطبيقي، ممثلا في بعض ما روي من أشعار لساء عربيات شواعر في الشعر القديم.

1. مفهوم مصطلح الإقناع:

المنتجع لمصطلح الإقناع في الفكر العربي القديم يجده حاضرا، فالفارابي(ت:339هـ) يعرف القناعة من زاوية فلسفية بمعنى: "ظنّ ما؛ والظنّ في الجملة أن يعتقد في الشيء أنه كذا أو ليس كذا"². أي الاحتمالية المنافية لليقين، في إطار نظرة الإنسان للأشياء وفقا لاعتقاده الشخصي، فاعتقاده الشيء على نحو معنى كذا، قد لا يكون كما تصوّره في نفسه، وأمّا ابن حزم (ت:456هـ) فلا يختلف عمّا ذكره الفارابي، فيرى أن الإقناع "قضية أو قضايا أنست النفس بحكم شيء ما دون أن توقفها على تحقيق حجة ولم يقم عندها برهان بإبطاله"³؛ يعني أن يطرح شخص موثوق فكرة بحكم معين، دون أن يصل له دليل يشبّتها، وطالما لا يوجد دليل واضح قوي يعضدها، تبقى محلّ الظنّ المنافي لليقين أي الاحتمال،

وجاء عنده في موضع آخر بمعنى سلطة مستقرة ومشهورة سلفا خارج نطاق الخطاب نفسه، مع التأكيد على الاحتمالية، يقول: "وذلك أنهم لا يلتفتون إلى البرهان وإن أقروا أنه برهان وقد ألفوا الإقناع والشغب ألفا شديدا، وهم يتقدون إذا عورضوا به، فهؤلاء إن عارضتهم ببرهان لم ينجح فيهم، وإن عارضتهم بإقناع ذلوا ذلة اليتيم... حتى إذا قلت لهم فلان يقول القول هذا القول وذكرتم لهم رجلا من عرض الناس موسوما بخير انقادوا له وتوقفوا جدا وسهل جانبهم".⁴ وعند حازم القرطاجني (ت:684هـ) في معرض حديثه عن صناعتي الشعر والخطابة على أنها: "مشتركان في مادة المعاني، ومفترقان في تصوّر التخيل والإقناع"،⁵ فربط الشعر بالتخيل مع وجود الإقناع، والخطابة بالإقناع مع عدم نفي التخيل، معتبرا الإقناع من الطّيّات، ولا يتعد مصطلح الإقناع عند السجلماسي (ت:704هـ) عمّا ما قدّمه سابقوه، والذي يعني الظنّ المنافي لليقين، وأتت مخاطبة للعاطفة والخيال، من خلال حديثه الضمني عن القضية الشعرية واختلافها عن القضية الجدلية أو الخطبية على أنّ الثانية تكون "من حيث الشهرة والإقناع فقط دون النظر إلى غير ذلك من صدق وعدمه".⁶

وقد ورد مصطلح الإقناع في كتابات بعض النقاد المعاصرين الغربيين والعرب، ليشكّل لنا مفهوما مؤسّسا كمنه من القضايا النقدية المعاصرة، فأخذ مفهوم الإقناع يتشكّل وفق ثلاثة أبعاد؛ بعد يقوم على معنى الاحتمالية القائمة على الظنّ، والآخر بمعنى الأثر الذي يحدثه الخطاب الحجاجي في نفسية المتلقي، وثالث بمعنى التوافق، ومن هؤلاء عبد الله صولة الذي يرى في مصطلح الإقناع معنى الاحتمالية القائمة على الظنّ متبعة للطرح الذي قدّمه بيرلمان، يقول: "ما فهمناه من كلام المؤلفين في كتاب مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة أنّ تحقيق الاقتناع (convection) الذي هو غاية الحجاج يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال والإقناع (lapersuasion)،⁷ أي بين صرامة الاستدلال القائم على العقل، والذي لا يثير تأويل مسائلها مشاكل خلافية، وبين النسبية والاحتمالية (لامعقولية) التي يثير تأويلها مشاكل خلافية.

أمّا مفهوم الإقناع كونه الأثر الذي يحدثه الخطاب الحجاجي في نفسية المتلقي، فنجد الكثير من المشتغلين في الحقل الحجاجي يرون بذلك، منتبحين خطي الطرح الغربي، كأمثال ويليام بليك الذي يرى أنّ: الإقناع هو العناية بالتفاعل مع الآخرين من موقع قوّة وتأثير.⁸ ومن النقاد العرب المعاصرين نجد طه عبد الرحمن يعتبر مصطلح الإقناع "التأثير في اعتقاد المخاطب، وتغيير سلوكه".⁹ ولا يبتعد عبد اللطيف عادل عمّا قدمناه، إذ يعتبر الإقناع ما يتوخى صاحبه الانتصار في خضم صراع حياتي ومنازعات بشرية، مستعملا طرق وتقنيات تؤدي إلى الاستلذاذ لدى المقول إليه واستمالته.¹⁰

وبالانتقال إلى الإقناع الذي جاء بمعنى التوافق، ما ذهب إليه جيمس بوج (Gerard James Borg)، معتبرا مفهوم الإقناع هو القدرة على جعل الآخرين يتفقون معك، إما بالاتفاق مع آرائهم أو عمل ما يريدونه منهم أن يفعلوه.¹¹

المنتبّع لمصطلح الإقناع لا يخرج عن معنى إحداث التأثير للإذعان، وتغيير السلوك أو تحصيل موافقة حول قضية متنازع فيها، أو مشكوك في صحتها، وعلى الطرفين إثباتها أو العزوف عنها، أو من أجل الحوار والتواصل، في حدود الاحتمالية، فيما تحدثه الحجة على اختلاف طرق استخدامها.

2. مفهوم القيم:

إن تعريف القيمة في الفن الأدبي هو موضوع مثير للجدل في عالم النقد الأدبي، حيث أن القيم غالباً ما تكون ذاتية للغاية، خاضعة لتصور صاحبها، ومع هذا ففهم القيم ضروري في عالم الفن، وعليه: ما الذي يجعل الفن قيمياً؟ وهل يتعلق بكل سلوك يشمل الأخلاق والمبادئ المعيارية الثابتة؟ وهل يعكس الطبيعة الرمزية للفن أم موضوعاته؟

1.2. في اللغة: لفظ القيم في اللغة تعني: "الاستقامة... والقيمة: واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم... يقال: كم قامت ناقتك أي كم بلغت" ¹². وقد وردت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، كلها بمعنى: المستقيم، يقول الله تبارك وتعالى: { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا } [الأنعام 161]. { ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ }. [التوبة 36] [يوسف 40] [الروم 30] ويقول: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }. [الإسراء 9]، { قِيَمًا لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا }. [الكهف 2] { فَأَقَمَ } وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ { [الروم 43] { وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }. [البينة 5] { فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ } [البينة 3]

2.2. في الاصطلاح: فالقيم هي كل سلوك يشمل الخير والجمال والحق والفضيلة، وهي مبادئ معيارية ثابتة فطرية يحتكم إليها الناس عند الاختلاف، وهذا لتحقيق الأهداف السامية التي بالضرورة تحسن جودة الحياة في المجتمعات الإنسانية، و"القيمة تشكل المرغوب. ونحن نعرف أن الرغبة لا تنتهي عند موضوع، كما تنتهي الحاجة. بل إنها تحيل إلى أفكار، بل على مثل العليا" ¹³.

وتمثل القيم بؤرة مرجعية في حياة الناس، باعتبارها خطاب الواقع والحقيقة، وهي "عبارة عن حجب ملزمة، تهدف إلى فرض الرأي وتسعى إلى إظهار الفرضيات على أنها حقيقة لا لبس فيها" ¹⁴.
أما موضوع القيم فهو متعلق بالفطرة الإنسانية التي خلقها الله في الإنسان، وهي قيم تمثل الكمال في كل شيء.

3. أقسام القيم:

تقسم القيم على حسب التعاطي مع الموضوع من وجهات نظر مختلفة، فمنهم من يحددها في ثلاثة موضوعات بحسب الترتيب الفلسفي القديم، الذي يمثله "مفكرو القرون الوسطى [الذين] يحذون حذو أفلاطون (platon) وأرسطو (aristote) إذ يميزون أربعة أنماط من المثل العليا أو الكائنات المتعالية: الحق والخير والجمال، وأخيراً الكائن* الذي يضم الثلاثة الأول" ¹⁵. والبعض يقسمه إلى نوعين مثل ما ذكر عبد الله صولة: " (قيم مجردة وقيم محسوسة). فالجردة من قبيل العدل والحق، والمحسوسة من قبيل الوطن" ¹⁶. وترى الباحثة سامية الدريدي أن القيم تنقسم على حسب ما يتواتر استعمالها في ميدان الحجاج إلى ثلاثة أصناف، وهي: قيم كونية (universal values)، قيم التزام مجردة (abstract commitment values)، قيم فعل محسوسة (tangil action values) ¹⁷.

وغالباً ما يتم تصور القيم في العرف الإنساني على حسب تلقّي الذات المدركة، فتختلف من شخص إلى شخص آخر، على حسب التعاطي مع هذه القيمة والقدرة على الالتزام بها، فالتاس لا يتساوون في الخير والحق والفضيلة والجمال، وما دام كذلك فتكون مرتبة من الأقل عمقاً إلى العميق، فإلى الأعماق، فكل قيمة في ذاتها أكثر حاجية من غيرها - كما يرى عبد الله صولة - فالجميل درجات، والتافع درجات. والهرمية بعد ذلك نوعان: مجردة مثل اعتبار العدل أفضل من النافع.

— مادية محسوسة: كاعتبار الإنسان أعلى درجة من الحيوان" ¹⁸.

ولا شك أنّ حجة القيم في مرامي الخطاب يكون " عليها مدار الحجاج بكلّ ضروبه. وهي، لئن خلت منها الاستدلالات ذات البعد العلمي والعلوم الشكلية formal sciences فإنّها تمثل بالنسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاء أساسيا. فهي التي يعول عليها لجعل السامع يذعن لما يطرح عليه من آراء".¹⁹

ونبته هنا، إنّ علماء الحجاج يؤكدون أنّ استدعاء هذه القيم لا يكفي، بل لا بدّ من الانتقاء والترتيب اللذين يخدمان مرامي الخطاب، فما " يميّز كلّ جمهور ليس القيم التي يسلم بها بقدر ما تميّزه طريقة ترتيبه إياها".²⁰

4. فن الإقناع بالقيم دراسة تطبيقية:

تعدّ أشعار النساء العربيات الشواعر أحد أعمدة الإرث الأدبي العربي القديم، من خلال إسهاماتهنّ في تحريك عجلة الشعر العربي في تلك الفترة، بقصائد شعرية، تدوّي شعريتها وحجيتها، وتصدق بالكثير من القيم على اختلافها؛ قيم الجمال، والافتخار، والشجاعة، والتبلى وغيرها، في صورة محفزة، تندقق بعاطفة صادقة تعبّر عن آمالهنّ والآمل، وتصف أفراسهنّ وأقراحنّ. فلم تتوان شعرية قصائدهنّ من إبراز قيم لطالما تغنى بها العرب، في حلّهنّ وترحالهنّ، وهي قيم - كما ذكرت سامية الدريدي - " عبارة عن حجج ملزمة، تهدف إلى فرض الرأي وتسعى إلى إظهار الفرضيات على أنّها حقيقة لا لبس فيها"²¹، وهذا لغاية خلق تأثيرات مختلفة يمكنها تغيير الحالة المزاجية أو ترسيخ عمق التلقّي لتلك القيم، ممّا يجعل جمهور المتلقّين يذعنون، فتعيد الشاعرة لذويها مكاتبتهم التي ترمز إلى أروع وأنبى الصفات، وقد اخترت نماذج من تلك الأشعار على سبيل التمثيل لا الحصر، منها قول ليلي الأخيلية وهي تتغنّى بنبيل قومها وتفاخر بشجاعتهم²²:

نحن الأَخِيلُ ما يزالُ غَلامُنَا حتّى يَدِبَّ على العصا مَذْكَورَا
تبكي الرِّمَاح إذا قَدَّزْنَ أَكْهَنَّا جَزَعًا وَتَغْلَمُنَا الرِّفَاقُ بِجُورَا
والسيفُ يَعلَمُ أَنَّا إِخْوَانُهُ حَزَانٌ إِذْ يَلْقَى العِظَامُ بِثُورَا

يلاحظ من هذه الأبيات علو مسحة شعرية من خلال الجمع بين سلاسة الوزن والإيقاع، وقوة الكلمات وصحة المعنى، واتساع الخيال، في انسجام مع دلالة ما جال في خاطر الشاعرة من فكرة، وما ارتبط بالحالة النفسية والشعورية الملزمة لها، فجاءت الصور - في هذه الأبيات - مكثفة وبأبعاد إنجائية تصوّر قيمة نبيل قومها، لهدف حاجي أراسته وسعت إليه، وهو نقل المعنى قويًا مؤثّرًا، ففي البيت الأول، معنى (نحن الأَخِيلُ ما يزالُ غَلامُنَا... حتّى يَدِبَّ على العصا مَذْكَورَا) ظاهر لهم، لكن أن يراد بها معنى الشجاعة والإقدام، غير ظاهر في السياق، معلوم في العرف والعادة، فوصف الظاهر بالخفي دعوة للافتخار بقومها وترهيبا منهم، من جهة، وبيان ضعف عدوهم وعدم القدرة على مجاراتهم، من جهة أخرى، عن طريق ما تصوّر لهم الخيالة، والمقصود بهذا العدول هنا عرض المعنى في صورة محسوسة لغرض التأثير والإقناع. وهذا الأسلوب الكنائي العذب، قد حاولت من خلاله تشكيل الصورة بذاتها، تأكيدا على حقيقة ملازمة ذات المجد رجالهم من الصغر إلى الكبر، ثم أردفتها باستعارتين بليغتين، إذ جعلت الرِّمَاح تبكي من شدة فقدانها أكف قومها، والسيف جعلته أبا لهم، تعبيرا عن المبالغة في الشجاعة، على اعتبارها قيمة من قيم العرب، تحرك وجدان القوم، وتثير طموحهم، وتزرع الفخر في نفوسهم.

وكذلك قد اكتسبت الاستعارة في هذا السياق خاصية فوق الإبطال أي: "عدم ورود دليل مضاد بعد القول الاستعاري يخدم النتيجة المعاكسة".²³ وهذا ما منحها - أيضا - خاصية حجاجية إضافية.

فلو قالت مثلا: قومنا شجعان على حقيقتها لتوهم السامع قد يكونون متهورين، فيقبل السياق الرابط الحجاجي (لكن) ...

__ مقدمة = زيد شجاع (تركيب حقيقي) خال من الاستعارة

__ لكن = رابط حجاجي. يثبت للثاني ما نفاه عن الأول، أي أثبت التهور لقومها مع نفي الشجاعة عنهم وهي من جنس التهور.

__ النتيجة = السياق الذي جاء بعد الرابط مقبول (متهور)، قومنا شجعان متهورون.

ويقولها: الزمّاح تبكي لفقدان أكفنا، على الاستعارة لا يقبل توهم التهور، أي لا يقبل الرابط الحجاجي (لكن)

__ مقدمة = الزمّاح تبكي لفقدان أكفنا (تركيب استعاري) غير حقيقي.

__ لكن = رابط حجاجي. يثبت للثاني ما نفاه عن الأول، أي أثبت التهور لقومها مع نفي الشجاعة عنهم وهي ليست من جنس التهور.

__ النتيجة = السياق (متهور) الذي جاء بعد الرابط لكن غير مقبول. الزمّاح تبكي لفقدان أكفنا لكننا متهورون.

وَقَالَتْ عَائِكةَ بنت نَفِيل تَرثي زَوْجَهَا عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عَنْهُمَا:²⁴

فَلَلَهُ عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتّى يترك الموت أحمرّا

في هذه الأبيات تراثي عاتكة زوجها مبرزة قيمة الشجاعة التي يتحلّى بها، براعة أسلوب، ينبع من نزعة وجدانية تعلوها مسحة الانتياع والشوق والحرقة واللمفة، فاستهلّت بصيغة تعجبية تشير فيها إلى دهشتها بما تحمله شخصية زوجها من صفات عجيبة متفردة، وكأنتها تقول متسائلة: هل هناك من رأى شأبا مثله في الشجاعة والإقدام؟ ثم أردفتها بالباس زوجها ثوب الشجاعة بتصويره في مشهد يبرزه شديد الإقدام، مسرعا في الهجوم، أكثر حميّة، وأكثر صبرا وتحملا في مواجهة الصعاب في القتال، وهذا بالمزج بين أسلوبين: أسلوب كنائي تؤكد من خلاله ما ادّعتته من شجاعة زوجها مع البينة، موصحة الصفة في قولها: (أكر وأحمى في الهياج وأصبرا)، ومسبّها، الناتج عن كثرة الصعاب في القتال، مما زاد ادعاء الشجاعة والشدة في القتال والبسالة قوّة، واستعارة بالغة في وصف شجاعته في القتال، إذا اشتدت المعركة واشتدّ طعن الزمّاح، لدرجة أن الموت نفسه يصبح "أحمرّا"، أي ملطّخا بالدم، فإنه: "يكون بين الحكم الذي هو عرضة لأن لا يقبل وبين الحكم أو الحجة التي تدعمه على نحو ما تدعم حقيقة الأمور التي لا تقبل الطعن أو هي على الأقل تقدّم على أنّها كذلك ظواهر هذه الأمور غير مسلم بها أو غير المجمع عليها".²⁵ فإننا حينما نشبه الموت (الأمر 1) بالأشخاص (الأمر 2) وهما أمران مختلفان، فإننا قد أطلقنا حكما بتشبيه أمر مختلف عن أمر ثان في شيء ما، بإثبات فعل تلطّخ الموت بالدم، بجامع الشجاعة والقوّة، وهو حكم معرّض لعدم القبول، لكن حينما ندعمه بحجة أن يترك (زوجها) العدو أحمرّا، فإننا نصل بين الظاهر الذي هو (الموت أحمرّا) بالحقيقة التي هي شجاعة زوجها.

__ يترك (زوجها) الموت أحمرّا = مقدّمة مشكوك فيها

__ يترك (زوجها) العدو أحمرّا = مقدّمة يقينية

— كل من يترك العدو أحمرًا (ملطخًا بالدم) فقد بلغ في القوة والشجاعة نهايتها = نتيجة وهي بذلك تسعى للانفجار بقيمة الشجاعة، وتقديمها في صورة محفزة لها، فيأتي هذا التعبير الشعري من الخزن العميق ليتكلم بالإجابة عنه، موحيا معبرًا، إليه تؤول القيم. وقالت ربيعة في رثاء أخيها: من الطويل²⁶

لعمري وما عمري علي بهين لنعم الفتى أريتم آل خثعما
وكان إذا ما أورد الخيل بيشة إلى هضبت أشراج أناخ فألجما
فأرسلها رهوًا رعالا كأنها جراد زهته ربح نجد فأتها

في هذه الأبيات تستهلّ الشاعرة في جوف نفسي مليء بالحسرة واللوعة على فراق أخيها، مُقسمة بحياتها وكأنها تقول: إنَّ ما قتلتموه قد كان فتى نبيلًا شجاعًا. ثم راحت تصوّر شجاعة أخيها في مشهد جمعت فيه بين مهارة قيادة الخيل وترويضهم والتحكم فيهم، وبين مهارة قتال وبسالة ونبل، وهي قيم قلّ نظيرها بين فتيان قبائل العرب، فتوّعت من التصوير البياني بين أساليب كناية في البيت الثاني (وكان إذا ما أورد الخيل بيشة ... إلى هضبت أشراج أناخ فألجما)، أي كان يقود الخيل إلى وادي بيشة، وعند وصوله إلى مرتفعات أشراج المليئة بالأشجار، كان يوقفها ويضعها موضع الاستعداد للمعركة، وتشبيه (كأنها جراد) تضمنته كناية (جراد زهته ربح نجد فأتها) كما في البيت الثالث، حيث شَبّهت اندفاع الخيل التي يرسلها أخوها كأنها جراد في كثرتها، أثارتها ربح نجد في سرعة وانتظام إلى أرض تهامة. ومثل هذه الأساليب يبدو أنها نعت من صدق عاطفة، ومخيال بدیع في تصوير أنبل الصفات، في ثوب من الألفاظ البسيطة الواضحة التي لا تحمل تعقيدًا ولا صعوبة، قريبة إلى فهم المتلقي، ملازمة لروحه، وإن كان قد يكون هذا الوصف بعيدًا عن الواقعية — كما ذكر أبو هلال العسكري — "لدخوله في باب التهويل على العدو، وهو يجري مجرى المكيدة في الحرب"²⁷

وترثي صفة الباهلية أخاها، واصفة إياه بالنبل، قائلة:²⁸

فأذهب حميدًا على ما كان من حدّث فقد ذهبت وأنت السَّمْع والبَصَرُ
وما رأيته في قوم أسرهم إلا وأنت الذي في القوم تُشْتَهَرُ
كأنكم ليل يئتنا قمر يجلو الدجى قهوى من يئتنا القمر

تستهلّ هذه الأبيات بتقرير حقيقة رحيل أخيها تاركًا وراءه سيرة حسنة، وإنجازًا طيبًا، متحسرة على فقدانه الذي ترك في نفسها وفي أنفس قوما فراغا كبيرا، بمثابة فقدان السمع والبصر، ثم راحت تبرزه في صورة المؤثر بين قومه، لتؤكد صفاته القيمة المميزة التي قلّ نظيرها، ثم استطردت في العلاقة بين قوما وأخيها، كعلاقة التّجّوم بالقمر، ف " شَبّهت العشيّة كلها والمتوفى فيها، بنجوم ليلٍ أهدت بقمرٍ استضاء ظلامه الليل بنوره فسقط ذلك القمر من وسطها فعاد الليل كما كان."²⁹ وهي بعقد هذه المقابلة بين المعنيين (أخيها والقمر) بشكل متكرر في البيت، عن طريق القياس بحمل الفرع (أخيها) على الأصل (القمر) جاء لتصوير قيمة جالية ذاتية، الاستدارة والوضاء، من جهة، والعلوّ والرفعة من جهة أخرى، لغاية تقرير صفة المشبّهة في ذهن السّامع، من خلال تصويره تصويرًا حسيًا مشاهدًا، محاولة منها إسباغ الصفات المثالية على أخيها، فحققت بهذا التصوير البليغ غايتين: الأولى الإيجاز، والثانية المهارة في إبراز المعنى لغاية الوصول إلى

الأهداف الإقناعية، وهذا ما جعل الكثير من أهل البلاغة يعظمون " أمر التشبيه لكونه أعلق بالطبع، وألد للتفيس، وله نفع عظيم في باب الخطابة".³⁰

وقالت جنوب الهذلية تندب مصرع أخيا في بني فهم وتشيد بمكارمه³¹:

إذا نها ليث عريسة
مفيدا نفوسا وخيلاً ومالا
هزيراً فروساً لأعدائه
هصوراً إذا لقي القرن صالا
هما مع تصرف ريب المنون
من الأرض ركناً ثيباً أمالا

في هذه الأبيات استشعرت الشاعرة فقدان أخيها الحبيب إلى قلبها، هذا مما كبل إرادتها، وأثر على نفسها الأبيّة تأثيراً عميقاً، وأصاب قلبها الكبير إصابة بالغة في الضميم، فدفعها لنظم قصيدة ترثي أخاها، مبرزة قيما، من شجاعة وكرم وحكمة تحلّى بها وتحمل، فأثت بصورة تجسد المعنوي بالمحسوس، بلغة موحية، تعكس تجربتها الانفعالية فاستوحت في استعارة صورة الليث، مشبهة إياه في قوته وشجاعته واندفاعه، وفي صورة القائد الحكيم القادر على تجهيز الجيش من خلال توفير المال أو الخيل، والتحفيز على القتال، ثم استطردت في تصويره منتقية صورة كنائية ترمز إلى الإحساس بغدر الزمن والموت، الذي ترى فيه الإتيان بما لا يُتنبأ به، لتردفها بتشبيه تشبيهاً بليغاً، بالركن من الأرض الذي لا يتأثر بهذه التقلبات، لتبرز قيمتين رمزيتين؛ الثبات والصلابة.

ولو تأملنا أسلوب الشاعرة في وصف أخيها، لوجدنا الإخبار حاصل في الضربين من الكلام: القوة والشجاعة والاندفاع والقيادة الحكيمة (ضرب من التركيب الحقيقي)، والتصوير البياني المجتمعة في الكناية والاستعارة والتشبيه، لكنّ القول الثاني أكثر جلالاً وأشدّ إقناعاً وتأثيراً وأقوى حجةً وبياناً، والسّر في ذلك يعود إلى خاصية الغموض في الصور البيانية، وهذا راجع إلى " أنّ اللفظ لم ينصهر مع المعنى، وأنّ المعنى الأول لا يقود في سهولة إلى المعنى الثاني".³² ويمكن القول، إنّ النساء الشواعر في هذا المقام لا يملكن لغة أخرى لمواجهة الموقف والتعبير عنه، فيأتي هذا التعبير الشعري الذي قدّمه من المخزن العميق ليتكلم بالإجابة عنهنّ، إحياء للقيم - على اختلافها- في نفوس جمهور المتلقين، ويقدم لهم صورة محفزة لها، مصوّرة إياها في صور موحية معبرة إليها تؤوّل القيم، وفيها يكون الموجه الاجتماعي والسلوكي.

5. الخاتمة:

أسهمت النساء الشواعر من خلال عمق اضغالهنّ، وعاطفة تعبيرية صادرة عن الصراع النفسي الداخلي الذي يغلب على الأسلوب المؤنث، إسهاماً بليغاً، أبرزت من خلاله موقفها الراض للموت، فجاءت قصائدهنّ من أجل:

- إبراز قيمة من قيم الشجاعة والجمال والتبل والحكمة، التي تحلّى بها المرثي، لهدف حجاجي أردنه وسعين إليه.
- التركيز على قيمة الشجاعة في سياق الغرض الشعري، لما لها من إجماع عام عربي، وقيمة ملهمة للإنسان بصفة عامة.
- التأكيد على هذه القيم النبيلة التي يتحلّى بها المرثي، إذ كونها لا تعرف إلّا بما تتحقّق من فعل في الواقع.
- إبراز كثافة الصورة واللغة، المستوحاة من أفكار مسكونة باشتراطات الواقع المؤلم لهنّ.
- الارتقاء بلغة موحية، ووجدانية، وتصويرية، على الصور التمثيلية اللصيقة دائماً بالتفكير المعتاد اتجاه الموت.
- تحطّي المعنى الشعري واللغوي المجرد إلى كونه رمزاً للصراع النفسي الذي أفرزته مصيبة فقدان المحبوب.

__ الإشادة بفكرة قيمة الشجاعة والتبل والجمال والحكمة، التي تراها ليست شكلا من أشكال القيم الجمالية الذاتية فحسب، بل أيضا شكلا من أشكال القيم الاجتماعية.

__ عقد نموذج من الصور البيانية المعبرة، في قالب من الخيال الفني الجمالي لإظهار القيمة في حدود اللامألوف، وحشد معها مجموعة من الألفاظ التي أردن بها تحريك الانفعالات والأحاسيس، والأخذ بتلابيب العقول.

__ إبراز القيمة بألق نسيج نظم بلغة موحية لإعادة القيم إلى مكائنها الترمزية خوفا من مسارعة ذاكرة العربي إلى نسيانها.

__ تأكيد النساء الشواعر في هذا المقام أنهن لا يملكن لغة أخرى لمواجهة الموقف والتعبير عنه، لتتخطى شعريتهن من المخزن العميق لتتكلم بالإجابة عنهن، لتؤتس لإحياء هذه القيم في نفوس العرب، وتقدم لهم صورة محفزة لهذه القيمة.

__ التأكيد على أن هذه القيم التي وُصف بها المرثي، هي رمز كل تقدير وافتخار للعربي وللقبيلة، وذلك للمبالغة في ترهيب العدو، وإيقاع الخديعة له.

هوامش:

- ¹ . ينظر، أوكان عمر، (2011م)، اللغة والخطاب، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص:250.
- ² . هشام الريفي، (د تا)، الحجاج عند أرسطو (ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف: حمادي صمود، (د ط)، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، جامعة منوبة - تونس، ص:142.
- ³ . ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (2007)، الإحكام في أصول الأحكام، (د ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، إشراف: مبحث البحوث والدراسات في دار الفكر، بيروت، لبنان، مج1، ص:35.
- ⁴ . ابن حزم الأندلسي، (1983م)، رسائل ابن حزم الأندلسي (التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية)، تح: إحسان عباس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج4، ص:289، 290.
- ⁵ . القرطاجني أبو الحسن حازم، (1986)، منهاج البلاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الحوجة، ط3، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص:19.
- ⁶ . السجلسماسي أبو محمد القاسم، (1980)، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: علال الغازي، ط1، مكتبة المعارف، الرباط - المغرب، ص:220.
- ⁷ . صولة عبد الله، (2011م)، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ط1، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، ص:206.
- ⁸ . ينظر، ديف لأكاني، (2016م)، الإقناع فن الفوز بما تريد، تر: زينب عاطف، ط1، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، ص:30.
- ⁹ . طه عبد الرحمن، (2000)، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص:38.
- ¹⁰ . ينظر، عبد اللطيف عادل، (2013)، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، ص:28-30.
- ¹¹ . ينظر، جيمس بورج، (2009م)، الإقناع فن التأثير الآخرين، ط1، تر: إصدارات مكتبة جرير، السعودية، ص:15.
- ¹² . ابن منظور، (د ت)، لسان العرب. تح: ياسر سليمان أبو شادي ومجدي فتحي السيد، (د ط)، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ص:498-500.
- ¹³ . جان- بول رزقير، (2001)، فلسفة القيم، تر: عادل العوا، ط1، عويدات للنشر والطباعة، لبنان، ص:13.
- ¹⁴ . سامية الدريدي، (2011)، الحجاج في الشعر العربي (بنيتها وأساليبه)، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص:270.

* المقصود بالكائن الذي يضم الثلاث الأول: الذات.

- ¹⁵. رزقير جان بول ، (2001)، فلسفة القيم، ص:13.
- ¹⁶. عبد الله صولة، (2011)، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ط1، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، ص:26.
- ¹⁷. ينظر، سامية التريدي، (2011)، الحجاج في الشعر العربي المعاصر (بنيتة وأساليبه)، ص 270، 271.
- ¹⁸. عبد الله صولة، (2011)، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص:26.
- ¹⁹. المرجع نفسه، (2011)، ص:26.
- ²⁰. المرجع نفسه، (2011)، ص:26.
- ²¹. سامية التريدي، (2011)، الحجاج في الشعر العربي (بنيتة وأساليبه)، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص:271.
- * المقصود بالكائن الذي يضمّ الثلاث الأول: الذات.
- ²². ليلي الأخيلية، (1967)، ديوان ليلي الأخيلية، تح: خليل إبراهيم العطية وجيل العطية، (د ط)، وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، العراق. ص:69.
- ²³. اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، درب سيدنا، البار البيضاء، ط1، 2006م، ص:106.
- ²⁴. صدر الدين أبو الحسن البصري، (د ت)، الحماسة البصرية، تح: مختار الدين، (د ط)، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص:202.
- ²⁵. صولة عبد الله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص:100.
- ²⁶. العسكري أبو هلال، (1408هـ)، الأوائل للعسكري، ط1، دار البشير، طنطا، مصر، ص:125. * ربطة بنت العباس السلمي: امرأة جاهلية من بني سليم من قيس عيلان من مضر. قتل بنو خثعم أخاها وهم من قبيلة كهلان القحطانية.
- ²⁷. العسكري، المصدر نفسه، ص:125.
- ²⁸. البحتري أبو غادة الوليد بن غبّيد، (2007 م)، الحماسة للبحتري، تح: محمد إبراهيم خور وأحمد محمد عبيد، (د ط)، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، ص:522.
- ²⁹. المرزوقي أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، (2003)، شرح ديوان الحماسة، تح: غريد الشيخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:256.
- ³⁰. الجرجاني محمد بن علي بن محمد، (1997م)، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، طبعة جديدة، مكتبة الآداب: علي حسن، ميدان أوبرا، مصر، ص:132.
- ³¹. بشير يموت، (1934)، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، المكتبة الأهلية، بيروت، ص:100.
- ³². الصاوي أحمد عبد السيد، (1988م)، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين (دراسة تاريخية فنية)، (د ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص:48.

قائمة المراجع:

(1). العربية:

1. أوكان عمر، (2011م)، اللغة والخطاب، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
2. بشير يموت، (1934)، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، المكتبة الأهلية، بيروت.
3. الجرجاني محمد بن علي بن محمد، (1997م)، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، طبعة جديدة، مكتبة الآداب: علي حسن، ميدان أوبرا، مصر.

4. ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (2007)، الإحكام في أصول الأحكام، (د ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، إشراف: مبحث البحوث والدراسات في دار الفكر، بيروت، لبنان.
5. ابن حزم الأندلسي، (1983م)، رسائل ابن حزم الأندلسي (التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية)، تح: إحسان عباس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
6. سامية التريدي، (2011)، الحجاج في الشعر العربي (بنيتها وأساليبه)، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن.
7. السجل لاسي أبو محمد القاسم، (1980)، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: علال الغازي، ط1، مكتبة المعارف، الرباط - المغرب.
8. الصاوي أحمد عبد السيد، (1988م)، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلغيين (دراسة تاريخية فنية)، (د ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية.
9. صدر الدين أبو الحسن البصري، (د ت)، الحماسة البصرية، تح: مختار الدين، (د ط)، عالم الكتب - بيروت.
10. صولة عبد الله، (2011)، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ط1، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس.
11. طه عبد الرحمن، (2000)، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب.
12. القرطاجني أبو الحسن حازم، (1986)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الحوجة، ط3، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
13. عبد اللطيف عادل، (2013)، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، منشورات ضفاف، بيروت.
14. العزاوي أبو بكر، اللغة والحجاج، درب سيدنا، الدار البيضاء، ط1، 2006م.
15. العسكري أبو هلال، (1408هـ)، الأوائل للعسكري، ط1، دار البشير، طنطا، مصر.
16. ليلى الأخيلية، (1967)، ديوان ليلى الأخيلية، تح: خليل إبراهيم العطية و جليل العطية، (د ط)، وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، العراق.
17. المرزوقي أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، (2003)، شرح ديوان الحماسة، تح: غريد الشيخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
18. ابن منظور، (د ت)، لسان العرب. تح: ياسر سليمان أبو شادي ومجدي فتحي السيد، (د ط)، دار التوثيقية للتراث، القاهرة.
19. هشام الريفي، (د تا)، الحجاج عند أرسطو (ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف: حمادي صمود، (د ط)، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، جامعة منوبة - تونس،

(2) الترجمة:

1. جان- بول رزقبر، (2001)، فلسفة القيم، تر: عادل العوا، ط1، عويدات للنشر والطباعة، لبنان.
2. جيمس بوج، (2009م)، الإقناع فن التأثير الآخرين، ط1، تر: إصدارات مكتبة جرير، السعودية.
3. ديف لأكاني، (2016م)، الإقناع فن الفوز بما تريد، تر: زينب عاطف، ط1، مؤسسة هندواي للنشر والتوزيع.